الخطأ الفادح في "التضليل الاجتماعي" بقيمة 25 مليون دولار: قضية *وايلاند ضد فيفا*

بقلم جيسيكا إركال، حاصلة على شهادة دكتوراه

عندما تتعارض حقوق الملكية التجارية مع الحقوق المعنوية المنصوص عليها قانونًا، فأيهما ينتصر؟ هذا هو السؤال المحوري في دعوى قضائية فدرالية تتعلق بالملكية الفكرية وقانون العقارات والترفيه الرياضي.

في يونيو 2026، رفع الفنان البيئي العالمي الشهير روبرت وايلاند دعوى قضائية فدرالية في ولاية تكساس يطالب فيها بتعويضات قدرها 25 مليون دولار ضد اتحاد الفيفا، إلى جانب مدعى عليهم آخرين. وتدعي الشكوى أن جدارية وايلاند الشهيرة "أوشن لايف" والتي رسمها عام 1999 قد طُليت بشكل غير مشروع لإفساح المجال أمام العروض الترويجية لمباريات كأس العالم لكرة القدم 2026. ويتمحور النزاع بشكل مباشر حول عنصر قوي، ولكنه غالباً ما يُساء فهمه، من قانون حقوق المؤلف الأمريكي: قانون حقوق الفنانين البصريين لعام 1990 (VARA).

بموجب قانون حقوق الفنانين البصريين الوارد في المادة (17 U.S.C. § 106A)، يُمنح مؤلفو الأعمال ذات "المكانة المرموقة"، أي الأعمال ذات الجودة أو المكانة العالية، الحق في المطالبة بحقوق تأليف أعمالهم، ومنع إتلافها أو تدميرها. وتُسلط الدعوى القضائية الخاصة بوايلاند الضوء على التوازن الهش بين حقوق الفنان وحق صاحب الملكية في تطوير أو تعديل أو استثمار عقاره التجاري. وتوفر المادة 17 U.S.C. § 113(d) لأصحاب الأملاك مسارًا محتملًا للمضي قدمًا من خلال تنازل خطي بموجب قانون حقوق الفنانين البصريين. وفي حال عدم وجود هذا التنازل، ينظر القانون في إمكانية إزالة العمل الفني:

- بالنسبة للأعمال الفنية القابلة للإزالة، يجب على صاحب الملكية تقديم إشعار خطي للفنان بشأن الإزالة المخطط لها، ومنحه 90 يومًا لإزالة العمل بأمان أو دفع تكاليف إزالته.
- إذا تعذر إزالة العمل الفني دون إتلافه (كلوحة جدارية مرسومة على جدار من الطوب)، فلا يجوز لصاحب الملكية تعديل العمل أو إتلافه دون الحصول على إذن خطي مسبق من الفنان.

منذ أن قدم وايلاند شكواه، أكدت اللجنة المنظمة لمباريات كأس العالم لكرة القدم في شمال ولاية تكساس علنًا أنها أمرت بتغطية اللوحة الجدارية بطلاء أزرق، مبررةً ذلك بأنه خطوة "للاحتفال وإثارة الحماس" لمباريات كأس العالم المحلية. إن عبارة "التضليل الاجتماعي"، التي تُستخدم عادةً لوصف الشركات التي تُخفي منافعها الذاتية تحت ستار المسؤولية الاجتماعية، تكتسب معنىً ساخرًا وحرفيًا مؤلمًا في دالاس. وهنا، طُليت لوحة جدارية لا تُعوَّض تُعنى بالحفاظ على البيئة البحرية بطلاء أزرق باسم "الوحدة والروح العالمية".

في الوقت نفسه، سعى اتحاد الفيفا إلى النأي بنفسه، مصرحًا بأنه "لا علاقة له بالأمر بتاتًا"، مُلقيًا باللوم على الجهات المنظمة المحلية. وقد يحاول اتحاد الفيفا حماية نفسه من المسؤولية المباشرة بالادعاء بأن المنشأة التي فوضت ونفذت فعليًا بتدمير اللوحة الجدارية هي لجنة محلية مستقلة وليس اتحاد الفيفا نفسه. مع ذلك، تتناول شكوى وايلاند هذا الأمر بشكل استباقي، مؤكدةً أن فروع اتحاد الفيفا الإقليمية والمحلية تصرفت بتوجيه منه. علاوة على ذلك، ولأن اللوحة الجدارية طُليت خصيصًا لإفساح المجال لشعار كأس العالم، فقد يجادل وايلاند بالانتهاك الضمني بإثبات أن اتحاد الفيفا استفادت بشكل مباشر من تدمير اللوحة الجدارية.

صرحت مالكتا المبنى سليت أسِت مانجمينت و3بيه زد بروبرتي كمبني، بأنهما تبرعتا بمساحة الجدار بحسن نية بعد أن أكدت لهما "داون تاون دالاس إنك." والمنظمون المحليون أنه تم إخطار وايلاند بشكل صحيح. ورغم أن هذا قد يحفظ ماء الوجه علنًا، إلا أنه لا يُعد دفاعًا كافيًا بموجب قانون (VARA)، الذي لا يعترف بِـ"حسن النية" أو الاتفاقات الشفهية المتعلقة بإذن الفنان لتعديل عمله. ولأن وايلاند يؤكد عدم إنفاذ أي تنازل خطي أو إعطاء إشعار مسبق، يجد المدعى عليهم أنفسهم في موقف بالغ الحساسية يُذكر بقضية "*5 بوينتز*" الشهيرة، التي أُمر فيها مطور عقاري في نيويورك بدفع 6.75 مليون دولار لتعمده طلاء رسومات جرافيتي على مبانيه الخاصة. ونتيجة لذلك، من غير المرجح أن يحاول مالكو المبنى دحض ادعاءات وايلاند بشكل كامل. بل على العكس، إذا استطاعوا إثبات تعرضهم للتضليل المتعمد أو أن المنظمين المحليين قد خرقوا بند التعويض، فقد ينقلون أي عبء مالي إلى اللجنة المنظمة المحلية التابعة لاتحاد الفيفا.

بغض النظر عن الغضب الجماهيري والتماسات الجمهور العام في دالاس، لم تُثمر أي مفاوضات تسوية، مما يشير إلى أن كلا الطرفين يستعدان لخوض دعاوى قضائية مكثفة. وستركز مرحلة الكشف عن الأدلة على سلسلة الاتصالات بين المدعى عليهم لإثبات المسؤولية من خلال تحديد من سمح بمواصلة العمل دون توقيع تنازل بموجب قانون (VARA).

حتى في حال إثبات المسؤولية، فإن حساب التعويضات بموجب قانون (VARA) أمرٌ يصعب التنبؤ به. وبموجب قانون حقوق المؤلف، يحق للمدعي المطالبة بتعويضات فعلية أو تعويضات قانونية. وفي النزاعات المتعلقة بالفن العام، يتطلب تقييم التعويضات الفعلية تحليلاً اقتصادياً وفنياً دقيقاً، يشمل تحديد تكلفة الترميم، والقيمة السوقية للعمل الفني، وتأثيره على سمعة الفنان العامة والتجارية. وللحد من التعويضات المحتملة المستحقة، قد يحاول اتحاد الفيفا التقليل من القيمة التجارية للجدارية، بحجة أن قطعة فنية مثبتة على هيكل مرآب للسيارات لا يمكن استغلالها تجارياً أو بيعها بسهولة بشكل منفصل عن العقار نفسه.

لعلّ أبرز يمكن ملاحظته، من منظور الملكية الفكرية، هو دور اتحاد الفيفا المعروف كجهة إنفاذ قوية لحقوق الملكية الفكرية الخاصة بها، والذي يشمل كل شيء بدءًا من أسماء البطولات، والتمائم، ومجموعات الألوان المحددة، والصورة الظلية لكأس العالم نفسه. ومن أمثلة الإنفاذ الصارم لحقوق الملكية الفكرية من جانب اتحاد الفيفا: الدعوى القضائية ضد بوما لعام 2022، وإزالة إعلان خطوط كولولا الجوية في جنوب إفريقيا، وقواعد "الملاعب-الخالية من المخالفات" التي فرضها اتحاد الفيفا خلال كأس العالم، والعديد من عمليات مصادرة البضائع غير المصرح بها. وتتجلى المفارقة القانونية في *قضية وايلاند ضد فيفا* بصورة عميقة.

في نهاية المطاف، تُعدّ *قضية وايلاند ضد فيفا* عبرةً لأصحاب الأملاك الذين يسعون إلى توسيع نطاق البنية التحتية التجارية أو الترويجية على حساب الأعمال الفنية القائمة. وينبغي التعامل مع الأعمال الفنية العامة بوصفها أصولاً قانونية محمية بشدة، وليس بوصفها لوحة بيضاء لإعادة التطوير القائم على الأحداث. بالنسبة لمجتمع الملكية الفكرية، تُذكّرنا هذه القضية بأن قانون (VARA) ليس قانونًا معطلاً، بل مصدر محتمل لمسؤولية مالية كبيرة ومخاطر تقاضٍ جسيمة. سواء انتهت هذه الدعوى القضائية بحكم هيئة المحلفين أو بتسوية، فإنها بمثابة تحذير صارخ من أن الإهمال في بذل العناية الواجبة للحصول على إذن خطي من الفنان قد يحوّل قرارات عقارية بسيطة وحملات تسويقية عالمية إلى مسؤولية انتهاك حقوق المؤلف بملايين الدولارات.